الإمام علي بن محمّد الهادي عليه السلام في مؤلفات الباحثين الغربيين[1]

مرتضى مداحي

مقدمة

علي بن محمّد المعروف بالإمام الهادي أو الإمام علي النقي (٢١٢- ٢٥٤ق) إمام الشيعة العاشر، وابن الإمام محمّد تقي الجواد عليه السلام. تولى الإمامة لما ناهز الثامنة من عمره. واستلم الإمامة مدة ٣٤ عامًا منذ عام ٢٢٠ حتى ٢٥٤ق. تزامنت إمامة الإمام الهادي عليه السلام مع خلافة عدد من الخلفاء العباسيين بمن فيهم المعتصم والواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين والمعتز. وأمضى سنوات مديدة في سامراء رازحًا تحت رقابة الحكام العباسيين. وانطلاقًا من حدوث موضوع تسلم الإمامة في سن مبكرة قبل الإمام الهادي في مرحلة إمامة الإمام الجواد عليه السلام وظهور سجالات واستدلالات بين الشيعة آنذاك، لذا لم تُطرح تحديات تُذكر حول سنه. وفقًا لتقرير اليعقوبي، فقد عمد المتوكل العباسي بعد معرفته أن ثمة بعض الناس يعدونه إمامًا، إلى فرض رقابة عليه وأسكنه في سامراء[2].

---

١. ترجمة: تمام ميهوب .

٢. اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢: ٤٨٤.

أفضى فرض قيود على أنشطته الاجتماعية السياسية وكذلك على إمامته في سني الطفولة واليفاعة، ومنعه من ممارسة أي نشاط سياسي، إلى عدم إيلاء حياته اهتمامًا كبيرًا من المؤرخين، وعليه فالمعلومات ضئيلة في المراجع الإسلامية عن حياته. وتأسيسًا عليه، فالإمام الهادي عليه السلام مثل الإمام الجواد وبقية الأئمة المتأخرين عن الإمام الرضا عليه السلام لم يحفلوا باهتمام كبير من المستشرقين. ومع ذلك، تطرقت بعض المقالات ومؤلفات الغربيين إلى حياته. وسيتناول المقال الحالي دراسة أهم الآثار ووجهات نظر الباحثين الغربيين في الدراسات الشيعية حول الإمام الهادي عليه السلام. إذ تعد شخصية الإمام الهادي واتصاله بالشيعة وعمره الصغير لتسلم الإمامة، ومزاعم تنصيب ابنه محمّد إمامًا ووصيته للإمام الحسن عليه السلام بعد وفاة محمّد من جملة الحالات التي اهتم بها الباحثون الغربيون في الدراسات الإسلامية وقاموا بدراستها.

الاهتمام الطفيف بالإمام الهادي عليه السلام في آثار الغربيين

قلما اهتم الباحثون الغربيون بالإمام الهادي عليه السلام. ولم يُطرح اسم الإمام الهادي عليه السلام وحياته في الكثير من المؤلفات الغربية التي تطرقت إلى دراسة أحوال وأحداث الخلفاء العباسيين المزامنين لهذا الإمام. إذ تشير أميرة بنيسون في كتاب الخلفاء العباسيين العظام العصر الذهبي للإمبراطورية العباسية فقط إلى مزار الإمام الهادي في سامراء، ولم تأتِ على ذكر أي إشارة أخرى حول حياته وعلاقاته بالعباسيين[1]. وأشار وليام مونتغمري واط في مقال «مراجعة تشيع العباسيين»[2] إلى ادعاء جعفر بن الإمام الهادي عليه السلام ولم يُجرِ أي دراسة حول الإمام الهادي عليه السلام.

1. Bennison, *The Great Caliphs: The Golden Age of the Abbasid Empire*, 85.

2. Watt, *The Reappraisal of Abbasid Shi`ism*, 638-54

على الرغم من أن كريستوفر ميلشرت درس التيارات السياسية خلال عهد المتوكل، فلم يأتِ على ذكر مكانة الإمام الهادي عليه السلام واكتفى بإشارة طفيفة حول كلية التشيع في هذه الفترة[1].

ولأن مقالات دائرة المعارف الإسلامية لا تتوافر على أي حديث أو إحالة إلى مؤلفات الغربيين المبكرة حول الإمام الهادي، وعليه فإن إجراء دراسة في هذا السياق يتعين متابعته في بعض كتب الباحثين في الدراسات الشيعية الذين درسوا حياة الأئمة ومداخل هذا الإمام في دائرة المعارف، وكذلك بعض المقالات والأطروحات الجامعية المرتبطة بذلك.

جرى تأليف مدخل الإمام الهادي عليه السلام في دائرة المعارف الإسلامية (ليدن) في الإصدارات الثلاثة، وطبعًا حجم هذه المقالات صغير للغاية. إذ ألّف كارل بروكلمان في الإصدار الأول لدائرة المعارف الإسلامية المدخل المرتبط بالإمام الهادي تحت عنوان «العسكري»[2] بحدود نصف عمود أي ربع صفحة، وانطلاقًا من شهرة لقب الإمام العاشر «بالهادي والنقي» واشتهار لقب العسكري للإمام الحادي عشر، يمكن أن يكون استخدام هذا العنوان للإمام الهادي مضلِّلًا إلى حدٍّ ما. وضع برنارد لويس في الإصدار الثاني مدخل الإمام العاشر تحت عنوان «العسكري»، وأذعن في مستهل المقال أنه معروف أكثر بألقاب «الهادي» و«النقي»[3].

وضعت ترسا برنهايمر في دائرة المعارف الإسلامية الاصدار الثالث مدخل

1. Melchert, *Religious Policies of The Caliphs from Al-Mutawakkil to Al-Muqtadir*, A H 232-295/A D 847-908, 318.
2. Brockelmann, AL-ʿASKARi, 489.
3. Lewis, "AL-ʿASKARI", 1: 713.

«علي الهادي»[١]، وجاء المقال في أقل من صفحة كاملة. تمثلت النقطة الإيجابية في هذا المدخل في أنه بخلاف التصحيحين السابقين لهذه الموسوعة، فقد جرى في الإصدار الثالث تدوين هذا المدخل تحت عنوان «علي الهادي» والذي يُعد اللقب الأكثر شهرة للإمام العاشر، وعليه فلن تقع الشبهة مع الإمام الحسن العسكري عليه السلام [٢].

وضع ولفرد مادلونغ في دائرة المعارف ايرانيكا مدخل «علي الهادي»[٣] وجاء هذا المقال مقتضبًا للغاية (عمودين في صفحة واحدة) ولم يغطِ على الإطلاق قرابة ٣٣ عامًا من إمامته والأحداث الواقعة خلال حياته وتعاليمه وأعماله لجهة إرشاد الشيعة. ورجح مادلونغ أن يكون الإمام الهادي عليه السلام حفيد المأمون عن طريق أم الفضل[٤]. إذ يُحتمل أن يكون مرد تشابه الأسماء هذا يرجع إلى بعض المراجع التي ورد فيها أنه كانت كنية سمانة أم الإمام الهادي عليه السلام أم الفضل مثل كنية ابنة المأمون[٥].

ورد في كتاب شيعة سامراء مقال حمل عنوان «الاضطرابات السياسية في عهد الإمام الهادي والإمام الحسن العسكري» عليهما السلام، وغالبًا ما أحال المؤلف إلى المراجع الشيعية والإسلامية، وانتهج نهجًا إيجابيًا[٦].

1. Bernheimer, "ʿAlī l-Hādī".

2. Ibid.

3. Madelung, "ʿALĪ AL-HĀDĪ", 1: 861-862:
https://www.iranicaonline.org/articles/ali-al-hadi-abul-hasan-b

4. Ibid, 861.

٥. الشامي، الدر النظيم في مناقب الأئمة، ٧٢١.

6. Abbas, *The Shiʿi Imām Hādī / ʿAlī al-Hādī, and th Shiʿi Imām;* "Askarī / al-Ḥasan al-ʿAskarī"; "The Political Turmoil Facing Imam Ali Al-Hadi and Imam Hasan Al-Askari;" *The Shiʿa of Samarra: The Heritage and Politics of a Community in Iraq.*

قدم موجان مومن في كتاب مقدمة على التشيع معلومات عامة حول الإمام الهادي، وطرح توضيحًا حول اسم العسكري؛ فقد كتب؛ كانت والدة الإمام الهادي عليه السلام جارية مغربية تدعى سمانة[١]. استُدعي الهادي إلى بغداد، وعلى الرغم من معاملته ظاهر٣يًا باحترام ووضع منزل تحت تصرفه؛ لكن في الحقيقة لبث حبيس المنزل، وقضى عشرين عامًا تحت أنظار الخليفة[٢]. وانطلاقًا من أن المنطقة التي استقر فيها هو وابنه كانت تدعى «عسكر»، دُعيا بالعسكريَين[٣].

بحث القس إدوارد سل في كتاب الاثني عشرية أو الشيعة الاثني عشرية، سبع صفحات في حياة الإمام، وكتب يصفه بأنه كان إنسانًا خلوقًا وصامتًا، وعانى كثيرًا عداوة المتوكل، لكنه حافظ على كبريائه وعظمته وأبدى صبرًا جميلًا[٤].

نقل ماثيو بيرس في كتاب اثنا عشر إنسانًا معصومًا جوانب مختلفة عن حياة الإمام الهادي عليه السلام وتناولها بالبحث والدراسة، وكتب؛ كان يُنشد المتوكل أن يكون الهادي نهاية المجتمع الشيعي[٥]. كما بحث إدموند هايز في مقال «من يمكنه أن يصبح إمامًا: جعفر الكذاب بين الواقعية السياسية والمثالية الباطنية»[٦] بعض أبعاد حياة الإمام الهادي عليه السلام.

تشير الدراسات إلى أن أطروحة شونا وردروب لنيل درجة الدكتوراه تعد أهم

1. Momen, *An Introduction to Shi'i Islam*, 43.
2. Ibid, 44.
3. Ibid.
4. Sell, *Ithna Ashariyya or The Twelve Shi`ah Imams*, 47.
5. Pierce, *Twelve Infallible Men*, 143.
6. Hayes, *The Imam Who Might Have Been: Ja'far "the Liar" between Political Realism and Esoterist Idealism*..

دراسة في الغرب حول الإمام علي الهادي عليه السلام[1]، إذ اختص القسم الأول منها بحياة الإمام الجواد عليه السلام وأُفرد القسم الثاني من الرسالة لدراسة حياة الإمام الهادي عليه السلام وإمامته. وكتبتْ: لعليُ بن محمّد الهادي ألقاب عدة بما فيها؛ النقي والعسكري والمتوكل، وقلما استخدم هذا اللقب بسبب اشتراكه مع المتوكل العباسي[2]. فقد ناقشت في القسم المتعلق بالإمام الهادي عليه السلام موضوعات عدة منها؛ ١. بداية إمامة الهادي والمسائل الرئيسة لإمامته؛ ٢. اعتزال الهادي ودور ابن الفرج؛ ٣. الخروج المؤقت من الحصار؛ ٤. الإمام في قصر الحاكم؛ ٥. المصاعب والأذى الذي تعرض له الإمام؛ ٦. ردود فعل الإمام وانتصار المؤمنين؛ ٧. الأنشطة التبليغية وكرامات الإمام[3]. ٨. نظام الوكالة في عصر الإمام الهادي[4]. وكما هو متوقع من إرشادات يان هوارد[5] ونظرته الإيجابية إلى أئمة الشيعة، فإن رسالة واردروب تنظمت باتباع نهج إيجابي ومن خلال الإحالات المتكررة إلى مراجع الشيعة الأولى؛ لكن الأمر الذي يمكن الإشارة إليه حول تقاريرها الكثيرة؛ يتمثل في نقلها الكثير من الأخبار عن بحار الأنوار، وكان من المناسب أن ترجع إلى المراجع الأصلية لهذا الكتاب.

1. Wardrop, "The Lives of the Imāms, Muḥammad al- Jawād and ʿAlī al- Hādī and the Development of the Shīʿite Organization."
2. Ibid, 97.
3. Ibid, 80-177.
4. Ibid, 217-235.
٥. إيان كيت أندرسون هوارد (Ian Keith Anderson Howard) يمكن عدُّه من ضمن أهم المستشرقين في مجال الدراسات حول كربلاء، إذ ترك مؤلفات متعاطفة كثيرة. ترتبط مؤلفات هوارد في الأغلب بالتشيع وتدور بعضها حول أئمة الشيعة مثل الإمام الحسين عليه السلام. المرجع: جماعة من مؤلفين، إمامت‌پژوهان انگليسي‌زبان و آثار آنها، ١٩٥.

دراسة بعض آراء المستشرقين ونقدهم حول الإمام الهادي عليه السلام

١. صغر سن الإمام الهادي ومسؤولية الإمامة

يُعد صغر سن الإمام الهادي خلال مرحلة الإمامة من المسائل التي حظيت باهتمام المستشرقين. إذ كتبت ترسا برنهايمر في دائرة المعارف الإسلامية الاصدار الثالث مدخل «علي الهادي»؛ على الرغم من أن والده الإمام الجواد عليه السلام توفي خلال طفولته، لكن لم تكن ثمة مشكلة عند أكثر الشيعة في قبول الهادي بوصفه إمامًا[1].

وكتبت شونا وردروب: تسلم الهادي الإمامة أيضًا مثل أبيه خلال سنوات الطفولة في السادسة من عمره، لكن المصاعب التي واجهت إمامة الإمام الجواد عليه السلام في هذه المرحلة لم تتسبب كثيرًا في انشقاق الشيعة؛ لأن من قبلوا إمامة الإمام الجواد، لن ينتقدوا إمامة طفل آخر[2]. وتنقل واردروب حديثًا؛ أن الإمام الجواد صرح بإمامة علي الهادي عليه السلام من بعده[3]؛ وتكتب: كان لدى الشيعة حلان مختلفان لمعالجة مشكلة صغر سن الإمام؛ تمثل الحل الأول في أن تنصيب الإمام يجري عن طريق إلهي، وصغر سنه لا يحول دون إمامته، والله تعالى سيمده بالعلم الكافي. وفي المقابل اعتقدت مجموعة أخرى أنه على الرغم من تسلم إمام صغير السن الإمامة، لكن يتعيّن على الشيعة الرجوع إلى علماء الجماعة الكبار حتى يصل الإمام إلى سن البلوغ. لكن الرأي الأول لقي رواجًا أكبر[4].

تؤكد التقارير التاريخية صحة كلام واردروب عن انخفاض التحدي الماثل أمام الإمام صغير السن خلال هذه الفترة. إذ إن أكثر الدراسات حول الإمامة

1. Bernheimer, "Alī l-Hādī".
2. Wardrop, *The Lives of the Imāms*, 97.
3. Ibid, 15.
4. Ibid, 237.

في الصغر جرت حول الإمام الجواد عليه السلام وكانت تلك الأجوبة مفيدة هنا ولا تزال كذلك. الاستدلال على إمامة الصغير في المراجع الشيعية منقول عن الأئمة أيضًا؛ وجاء في أحد التقارير أنه عندما دخل صفوان بن يحيى على الإمام الرضا عليه السلام وسأله؛ لا أرانا الله يومكَ، فإن كان كونٌ فإلى مَن؟ فأشار بيده إلى الإمام الجواد عليه السلام وهو قائم بين يديه، فقلتُ له: جُعلت فداك، وهذا ابن ثلاث سنين، قال: «وَ مَا يَضُرُّهُ مِنْ ذَلِكَ فَقَدْ قَامَ عِيسَى عليه السلام بِالْحُجَّةِ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثِ سِنِين»[1]. قَبِلَ مفسرو الشيعة والسنة أيضًا النبوة في الصغر طبق هذه الآية ﴿يٰا يَحْيىٰ خُذِ اَلْكِتٰابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنٰاهُ اَلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾(مريم: ١٢). يقول فخر الرازي عن هذا الآية؛ فيما يتعلق بالحكم في هذه الآية ثمة احتمالات عدة، وأفضل رأي أن يكون المراد هنا النبوة، وأن الله خصه بالنبوة في الطفولة[2].

وكتب الشيخ مفيد في كتاب الفصول المختارة دفاعًا عن إمامة الإمام الجواد عليه السلام: وذلك أن كمال العقل لا يستنكر لحجج الله تعالى مع صغر السن. قال الله سبحانه: ﴿قالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا قالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتانِيَ الْكِتابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾(مريم: ٢٦) فَخَبَّرَ عن المسيح عليه السلام بالكلام في المهد، وقال في قصة يحيى: ﴿وَآتَيْناهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾(مريم: ١٢)[3] وقد أجمع جمهور الشيعة مع سائر من خالفهم على أن رسول الله ص دعا عليًا ع وهو صغير السن.

وبسبب ما ورد في التقارير التاريخية حول إجابة الإمام الجواد والإمام

---

١. المفيد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، ٢: ٢٧٦، ٢٧٩.

٢. فخر رازي، التفسير الكبير، ٢١: ٥١٦. أنه النبوة فإن الله تعالى أحكم عقله في صباه وأوحى إليه وذلك لأن الله تعالى بعث يحيى وعيسى عليهما السلام وهما صبيان لا كما بعث موسى ومحمّدًا عليهما السلام، وقد بلغا الأشد والأقرب حمله على النبوة.

٣. المفيد، الفصول المختارة، ١: ٣١٦.

الهادي عليه السلام على المسائل الشرعية المهمة في سنوات اليفاعة والشباب؛ كما سيأتي فقد اعترف المعلم الجنيدي بعلم الإمام الهادي. كما نقل الخطيب البغدادي أيضًا أن المتوكل سأل العلماء في موضوع نذره حول الكمية والمقدار في كلمة «كثيرة»، ولم يحصل على جواب شافٍ. لكن علي بن محمّد بن علي حلَّ هذه المسألة من خلال الإرجاع إلى القرآن وسيرة النبي[١]. وفي مثال آخر نُقل أن المتوكل قال لابن السكيت أن يسأل ابن الرضا في محضره مسائل عويصة. فسأل أسئلة عويصة في مسائل عدة، فأجاب عليها الإمام الهادي واحدة تلو الأخرى إجابات صحيحة، فعدَّ يحيى بن أكثم أسئلة ابن السكيت بسيطة، وطرح بنفسه أسئلة أخرى، فأملى الإمام أجوبتها، فلمّا قرأ ابن أكثم الإجابات، قال: مَا نُحِبُّ أَنْ تَسْأَلَ هَذَا الرَّجُلَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَ مَسَائِلِي هَذِهِ وَأَنَّهُ لَا يَرِدُ عَلَيْهِ شَيْءٌ بَعْدَهَا إِلَّا دُونَهَا وَفِي ظُهُورِ عِلْمِهِ تَقْوِيَةٌ لِلرَّافِضَةِ[٢]. وعليه فالإمامة منصب إلهي ومتطلباتها مثل العلم والحكمة والعصمة من عند الله تعالى، الذي يمكنه أن يمنحها لطفل، وأمثلة ذلك لها مصاديق وأدلة بين الأنبياء السابقين أيضًا.

٢. الإمام الهادي تحت أنظار ابن الفرج والمعلم السني

نقلت واردروب كلامًا بدا فيه كأن الإمام الهادي تعلَّم عند عالمٍ من أهل السنة. وكتبت؛ بعد وفاة الجواد، أخذ عمر بن الفرج الإمام إلى المدينة، ورتب موضوع تعليمه مع أساتذة أهل السنة. وكان قد حصل على مبلغ طائل لقاء الاهتمام بالإمام وإبعاده عن الرافضة[٣]. حتى دفع زيد بن موسى أموالًا حتى يسعه اللقاء

١. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١٢: ٥٦.

٢. ابن شهرآشوب، مناقب آل أبي طالب، ٤: ٤٠٥.

3. Wardrop, *The Lives of the Imāms*, 103.

بابن أخيه[١]، واستمر هذا الحال حتى زمن المتوكل، ومع قدوم المتوكل، جرى تحييد ابن الفرج جانبًا[٢].

كتب ماثيو بيرس أيضًا في كتاب اثنا عشر إنسانًا معصومًا؛ عندما توفي والد الإمام الهادي، أُرسل عمر بن فرج المرخجي[٣] إلى المدينة حتى يقتلع جذور المجتمع الشيعي. كان برنامجه يقوم على أن يعهد بتربية الإمام الصغير وتعليمه لشخص عالم ومثقف وفي الوقت نفسه يعادي الشيعة، وبعد نقاشه مع علماء المدينة، وقع اختياره على أبي عبدالله الجنيدي، ووهبه جارية وطلبوا منها أن تربي الهادي بنحوٍ يكون فيه نهاية المجتمع الشيعي[٤].

ورد موضوع تعليم الإمام، وتكليف عمر بن الفرج استخدام شخص غير شيعي بوصفه معلمًا له، في مراجع مختلفة، وهذا يشير إلى وطأة تضييق الخليفة الخناق على الإمام.

قال أبو الفرج الأصفهاني في وصف عمر بن الفرج: «واستعمل على المدينة ومكة عمر بن الفرج الرخّجي فمنع آل أبي طالب من التعرض لمسألة الناس، ومنع الناس من البرِّ بهم، وكان لا يبلغه أن أحدًا أبر أحدًا منهم بشيء وإن قل إلّا أنهكه عقوبة، وأثقله غرمًا، حتى كان القميص يكون بين جماعة من العلويات يصلين فيه واحدة بعد واحدة، ثم يرقعنه ويجلسن على معازلهن عواري حواسر، إلى أن قُتل المتوكل»[٥].

---

1. Ibid, 104.

2. Ibid, 106

٣. الكثير من المراجع وثقت الرخجي، مثل السمعاني، الأنساب، ٦: ٨٩. الرخَّجي بضم الراء وفتح الخاء المعجمة المشددة وفي آخرها الجيم هذه النسبة إلى الرخجية.

4. Pierce, *Twelve Infallible Men*, *The Imams and the Making of Shi'ism*, 143.

٥. الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ٤٧٩.

لا يخلو ذكر هذه النقطة من فائدة تُرتجى، إذ جاء في التقارير المرتبطة بالإمام الهادي أن عمر بن الفرج هذا كان يتسبب في إلحاق الأذى بالإمام، وكان شقيقه محمّد بن الفرج من الموالين لأهل البيت. وهو الذي قال عنه عمر؛ لا يقوى أخي محمّد على تحمل كرامات الإمام الجواد عليه السلام. ومراده أن محمّد يعد مثل هذه التقارير غلوًا، وجاء في أحد التقارير أنه «عن غير واحد من أصحابنا أنّه قد سمع عمر بن الفرج أنّه قال: سمعتُ من أبي جعفر عليه السلام شيئًا لو رآه محمّد أخي لكفر. فقلت: وما هو أصلحك اللهّ؟ قال: إنّي كنتُ معه يومًا بالمدينة إذ قرب الطعام فقال: «أمسكوا» فقلت: فداكَ أبي قد جاءكم الغيب. فقال: «عليّ بالخبّاز» فجيء به فعاتبه. وقال: «من أمرك أن تسمّني في هذا الطعام؟» فقال له: جُعلت فداكَ فلان، ثمّ أمر بالطعام فرُفع وأُتي بغيره»[1].

على أي حال، حاول عمر بن الفرج أن يُودِع الإمام لدى شخص يعمل على التحكم باتصاله مع الشيعة، وفي الوقت ذاته يقحمه في تعلم أفكار خاصة غير علوية، لكن التقارير التاريخية تشير إلى الجنيدي هذا الذي استقر الأمر أن يكون معلم الإمام، وقع تحت تأثير علم الإمام وفضله. إذ جاء في إثبات الوصية للمسعودي، أن ابن الفرج بعد النقاش مع علماء من غير الشيعة، اختار شخصًا يُدعى الجنيدي، حتى يعلِّمه ويحول دون تردد الشيعة عليه أيضًا. فمكث الإمام علي النقي عليه السلام على هذا مدّة وانقطعت الشيعة عنه وعن الاستماع منه والقراءة عليه. يقول محمّد بن سعيد: في أحد الأيام لقيت الجنيدي، وسألته حول ذلك الغلام الهاشمي، فقال: لماذا تقول غلامًا هاشميًا ولا تقل الشيخ الهاشمي؟ أنشدك الله هل تعرف في المدينة أحدًا أعلم مني؟ فقلتُ: لا، فقال: فإني والله

١. الطوسي، الثاقب في المناقب، ٥١٧- ٥١٨.

أذكر له الحزب من الأدب أظنّ أني قد بالغت فيه، فيملي عليّ بابًا فيه أستفيده منه. ويظن الناس أني أعلِّمه، وأنا والله أتعلَّم منه[١].

لذلك باعتراف المعلم التي اضطر الإمام الهادي أن يلبث عنده، فإن إيداع الإمام لدى معلمٍ من غير آل البيت لا يعني تعلمه عندهم، على الأخص تعليم علوم الإمامة وهداية الناس.

٣. الإمام الهادي والاتصال بالشيعة

حينما كان الإمام الهادي عليه السلام تحت المراقبة، كان يتصل بالشيعة بقدر المستطاع وبما تسمح به قيود الحكومة، من خلال طرق مختلفة مثل اللقاء بهم وكتابة الرسائل والرد على الأسئلة المكتوبة، وكذلك إرسال وتعيين النواب في مختلف البلدان، والقيام بهداية الشيعة وقيادتهم. لكن بعض الباحثين الغربيين في الدراسات الشيعية تجاهلوا جهده، وعدّوا تراثه الباقي إلى حدٍّ ما لا يسترعي الاهتمام. وكتب مادلونغ: كانت تمضي حياة الإمام بعد إحضاره من بغداد تحت مراقبة الخليفة بشكل كامل، وخلال هذه المدة كان يتصل مع شيعته فقط عن طريق أبي عمر وعثمان بن سعيد الذي أصبح لاحقًا أحد نواب الإمام الغائب[٢].

كتبت برنهايمر في الإصدار الثالث لدائرة المعارف الإسلامية: لم يقم الإمام الهادي بدور يُذكر في تبلور فكر الشيعة؛ على الرغم من نسبة خطب قصيرة له في مواطن مختلفة[٣]. تناولت واردروب في قسم من كتابها مصاعب اتصال الإمام بالشيعة، إذ تكتب؛ لكن المسألة الأخرى التي واجهت الهادي تمثلت في قطع

---

١. المسعودي، إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب، ٢٣٠- ٢٣١.

2. https://www.iranicaonline.org/articles/search/author:Madelung/

3. Bernheimer, "ʿAlī l-Hādī".

الاتصال وتحييده إجباريًا عن المجتمع الشيعي الخاضع للحكومة العباسية، على نحوٍ انقطع فيه اتصاله بالكامل مع الشيعة تقريبًا في أعقاب وفاة والده[1]. وأردفت: استمر وضع انقطاع اتصال الإمام الهادي بالشيعة حتى عهد الواثق، ومع تسلم الواثق الحكم، تمكن الهادي أن يظهر في المجتمع. فقد كان الواثق الشخص الذي أمَّ صلاة الجنازة على الجواد، وكان تصرفه مع العلويين أكثر ملاءمةً[2].

طبق تقرير مراجع التاريخ الإسلامي، سعى الإمام الهادي عليه السلام على الرغم من القيود المفروضة من الحكومة إلى الحؤول دون اتصاله بالشيعة، للحفاظ على اتصاله بهم. وتشير تقارير مختلفة إلى أن الإمام خلال هذه المرحلة أدلى بتوجيهات عديدة حول الخُمس وكان يتلقى من الشيعة زكاة الخُمس[3].

كما أن إرشادات الإمام الهادي في موضوعات أخرى عديدة كانت مؤثرة في حل الكثير من الأسئلة والشبهات. وفي كتاب موسوعة كلمات الإمام الهادي عليه السلام عكف المؤلف في أربعة أقسام وهي العقائد والأحكام والأخلاق والأدعية والزيارات على جمع ٦٠٠ رواية قصيرة وطويلة للإمام الهادي في الكثير من الموضوعات[4] التي غفل عنها المستشرقون. كما تتضمن مكتوبات الإمام الهادي عليه السلام مسائل مختلفة للغاية بما فيها النهي عن الغور في الذات الإلهية، والنهي عن تجسيم الله تعالى، والصفات الإلهية، ورفض الجبر والتفويض، وحول إمامته والاهتداء بالإمام من بعده، وحول القائم وأسئلة فقهية تشمل الصلاة والخُمس والصوم

1. Wardrop, *The Lives of the Imāms*, 98.

2. Ibid, 107.

٣. الحر العاملي، وسائل الشيعة، ٩: ١٨٧.

٤. الشريفي وآخرون، موسوعة كلمات الإمام الهادي.

والحج والتجارة والمكاسب والنكاح والطلاق والنذور والكفارات والأطعمة والأشربة والقضاء والشهادات والحدود، وزيارة بعض المشاهد وكذلك الدعاء والموعظة وبعض الرسائل السياسية، وكذلك موضوعات حول بعض نوابه[١].

على الرغم من أن الكثير من روايات الأئمة لم تُضبط أو فُقدت على مدار التاريخ، فوفقًا لبعض الدراسات المعاصرة روى عنهم ١٧٢ راويًا[٢]. تأسيسًا على ذلك فخضوع الإمام الهادي عليه السلام للمراقبة وندرة اتصاله لا يعني قطع اتصاله بالشيعة، فقد نُقلت عنه قرابة ٢٦٦ رسالة إلى أشخاص مختلفين جرى تدوينها، أو كانت ردًا على أسئلتهم، تتحدث عن اتصاله بالشيعة، وجُمعت في كتاب مكاتيب الأئمة[٣]. تتمحور هذه المكتوبات حول موضوعات مختلفة، وتدور إحدى تلك الرسائل حول الرد على نظرية الجبر والتفويض، وجاءت في ٢٠ صفحة[٤]. استطاع الإمام الهادي عليه السلام خلال أيام فتنة خلق القرآن والتحديات التي مثلت أمام المسلمين، إبعاد الشيعة عن هذه المباحث التي لا طائل منها، إذ لا يشير المستشرقون إطلاقًا إلى دور الإمام في هذا الصدد. على سبيل المثال كتب الإمام العاشر لأحد شيعة بغداد حول الجدال الدائر حول بحث خلق القرآن التالي: «عَصَمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ مِنَ الْفِتْنَةِ فَإِنْ يَفْعَلْ فَأَعْظِمْ بِهَا نِعْمَةً وَإِلَّا يَفْعَلْ فَهِيَ الْهَلَكَةُ نَحْنُ نَرَى أَنَّ الْجِدَالَ فِي الْقُرْآنِ بِدْعَةٌ اشْتَرَكَ فِيهَا السَّائِلُ وَالْمُجِيبُ فَتَعَاطَى السَّائِلُ مَا لَيْسَ لَهُ وَتَكَلَّفَ الْمُجِيبُ مَا لَيْسَ عَلَيْهِ وَلَيْسَ الْخَالِقُ إِلَّا اللَّهَ وَمَا سِوَاهُ مَخْلُوقٌ وَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ لَا تَجْعَلْ لَهُ اسْمًا مِنْ عِنْدِكَ فَتَكُونَ مِنَ الضَّالِّينَ

١. احمدي ميانجي، مكاتيب الأئمة، ٦: ١٠- ٢٥٠.

٢. العطاردي، مسند الإمام الهادي، ٣٠٧- ٣٦٧.

٣. احمدي ميانجي، مكاتيب الأئمة، ٦: ١١- ٢٤٨.

٤. م.ن.، ٢١- ٤٠.

جَعَلَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ مِنَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ»[١].

نظام الوكالة في عصر الإمام الهادي

أفردت واردروب قسمًا كبيرًا من كتابها (حدود خمسين صفحة)[٢] لدراسة نظام الوكالة. إذ ركزت في البداية على تبلور الوكالة في زمن الإمام الكاظم عليه السلام ثم على ازدهارها في زمن الإمام الرضا عليه السلام، وفي نهاية المطاف على زمن الإمام الجواد والهادي واللذين يشكّلان الموضوع الرئيس لرسالتها. وتستطرد قائلة: في العموم دراسة نظام سري كان ينشط بشكل مخفي، صعب للغاية. بسبب قلة الوثائق التي يمكن الحصول عليها[٣]. وترى واردروب أن نشر الأحاديث المتعلقة بالمهدي وترويجها وقيامه بين الشيعة يعد من أول المحفزات لنظام الوكالة[٤]. كما أن إيصال الأسئلة والهدايا والمطالب إلى الإمام، ورده على الشيعة كانت تعد من جملة مهام النواب الخطيرة[٥]. وكتبت: «طُرح اسم نصر بن قابوس بوصفه أول وكيل للإمام الصادق عليه السلام »[٦]. وتضيف واردروب في تفسير نظام الوكالة: تبلور نظام الوكالة في زمن الإمام موسى الكاظم عليه السلام وتصدع بعده نوعًا ما ولا سيما مع نزوع بعض الشيعة إلى الواقفية[٧]. عدّت واردروب نظام الوكالة في زمن

١. الصدوق، الأمالي، ٥٤٦.

2. Wardrop, *The Lives of the Imāms*, 177-132

3. Ibid, 178.

4. Ibid, 179.

5. Ibid, 184.

6. Ibid, 180.

7. Ibid, 189.

الإمام الرضا عليه السلام نشيطًا، وتطرقت إلى نواب الإمام في تلك المرحلة[1]. وأجرت دراسة مستفيضة حول أصحاب الشيعة وأعلامها ومن ساعدوا في إمامة الإمام الجواد، أو أحيانًا كانت تساورهم شكوك حيالها، وتنقل آراءً حولهم من كتب الرجال وغيرها[2]. وتكتب: «على الرغم من افتقاد وجود سند واضح يدل على استمرار أنشطة الوكالة خلال الأعوام الأولى لإمامة الجواد، بيد أن التقديرات تشير إلى أن أشخاص مثل محمّد بن الفرج اضطلعوا بهذه المهمة»[3]. وفي المراحل التي تعذَّر خلالها اتصال العامة بالإمام، كان هذا الأمر متاحًا بالنسبة لهؤلاء. ووفق أحد التقارير يقول الإمام له: إذا كان ثمة سؤال لديكَ، اكتبه على ورقة ودسها تحت سجادتكَ، وبعد مدة تناولها واقرأها، حينئذ سيُدوّن الجواب[4].

كتب كوهلبرغ في مقال الإمام والمجتمع قبل الغيبة، سأل أحمد بن إسحاق الأشعري القمي الإمام الهادي، سوف أعودكَ بقصد رؤيتكَ، لكن في بعض الأحيان لن أكون قادرًا هنا (يبدو سامراء) على اللقاء بكَ، في هذه الحالة مَن نتبع وكلام مَن نقبل؟ فقال الإمام: تتبعوا عثمان بن سعيد العمري، فكل ما يقوله يكون مني[5].

تحليل طريقة الإمام الهادي عليه السلام في الاتصال مع وكلائه، وكيفية إدارته تعد مسألة تحتاج إلى دراسة موسعة. بيد أنه نُقلت تقارير حول إدارة الإمام المشوبة بالحذر. بما فيها كتابه إلى أحد الوكلاء: «وَأَنَا آمُرُكَ يَا أَيُّوبَ بْنَ نُوحٍ أَنْ تَقْطَعَ الْإِكْثَارَ

1. Ibid, 191.
2. Ibid, 200.
3. Ibid, 217.
4. Ibid, 218.
5. Kohlberg, *Imam and Community in the Pre-Ghayba Period*, 39.

بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَبِي عَلِيٍّ، وَأَنْ يَلْزَمَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمَا مَا وُكِّلَ بِهِ وَأُمِرَ بِالْقِيَامِ فِيهِ بِأَمْرِ نَاحِيَتِهِ، فَإِنَّكُمْ إِذَا انْتَهَيْتُمْ إِلَى كُلِّ مَا أُمِرْتُمْ بِهِ اسْتَغْنَيْتُمْ بِذَلِكَ عَنْ مُعَاوَدَتِي وَآمُرُكَ يَا أَبَا عَلِيٍّ بِمِثْلِ مَا آمُرُكَ يَا أَيُّوبُ: أَلَا تُقْبَلَ مِنْ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ بَغْدَادَ وَالْمَدَائِنِ شَيْئًا يَحْمِلُونَهُ»[١]. وحذَّر الإمام من الضالين والمضلين أيضًا، فعلى سبيل المثال لعن فارس بن حاتم في رسائل ومكاتيب عدة، وطلب من الشيعة أن يعتزلوه[٢].

لكن النقطة التي ذُكرت في بعض مؤلفات المستشرقين ويمكن دراستها، تتمثل في مبحث عدد وكلاء الإمام الهادي ومحدوديتهم كما سلف، فبعض المستشرقين عدّوهم محصورين في وكيل واحد أو وكيلين. بينما ورد في المراجع الإسلامية والشيعية أن عددهم أكثر من ذلك. وطُرحت أسماء محمّد بن جرير الطبري وعثمان بن سعيد[٣] وابن شهر آشوب محمّد بن عثمان[٤] بوصفهم أبواب الإمام الهادي.

كتب جاسم حسين: في زمن الإمام العاشر اقتصرت قيادة نظام الوكالة على أربعة أشخاص فقط. إذ كان علي بن مهزيار وكيل الإمام الجواد عليه السلام والإمام الهادي عليه السلام في الأهواز (وكان أولاده في تلك المنطقة وكلاء الإمام الحادي عشر عليه السلام) وكان إبراهيم بن محمّد الهمداني وكيل الإمام الهادي عليه السلام في همدان، وكان وكيله الآخر إسماعيل بن إسحاق بن نوبخت[٥]. ويعتقد المدرسي الطباطبائي

١. الكشي، رجال الكشي، ٥١٤.
٢. م.ن.، ٥٢٢.
٣. الطبري، دلائل الإمامة، ٤١١.
٤. ابن شهرآشوب المازندراني، مناقب آل أبي طالب، ٤: ٤٠٢.
٥. حسين، تاريخ سياسي غيبت إمام دوازدهم، ١٣٨.

أن عدد وكلاء الإمام كانوا كثيرين، والأشخاص المذكورون كانوا وكلاءه البارزين. كان الإمام يشرف شخصيًا على العمل، ويرسل بانتظام التعليمات إلى المجتمع الشيعي في مختلف المناطق، وكان كل وكيل من الوكلاء يتبع لوكيل بارز يضطلع بمسؤولية منطقة كبيرة ويعملون بإشرافه[١]. ذكرت الدراسات الحديثة أربعة عشر وكيلًا للإمام[٢].

تتمثل النقطة الأخرى في هذا الموضوع والتي أغفلتها دراسات المستشرقين، في مبحث النظرة إلى المستقبل وتهيئة الشيعة لمرحلة الغيبة. إذ كان استمرار متابعة الإمام الهادي عليه السلام وقيادة المجتمع الشيعي عن طريق نظام الوكالة نوعًا من تهيئة الموالين من أجل عصر الغيبة. ومصادقة الإمام على عثمان بن سعيد وأن ما يقوله صادر عنه تشير إلى هداية الناس نحو علماء الدين بوصفهم مرشدي الشيعة في عصر الغيبة.

فغيبة الإمام الفجائية بعد قرنين ونصف القرن من الحضور ومراجعة الشيعة إليهم يمكن أن يشكّل واقعة غير متوقعة ومثيرة للمشكلات[٣]. كما أن تحول مسار الاتصال بالوكلاء في زمن الإمام العسكري عليه السلام قياسًا بزمن الإمام الهادي عليه السلام ليكون أكثر خصوصية وأقل وتيرة، يمكن أن يشكّل مؤشرًا إلى التمهيد لعصر الغيبة[٤].

---

1. Modarressi, *Crisis and Consolidation in The Formative Period of Shi`ite Islam*, 14.

٢. جباري، سازمان وكالت ونقش آن در عصر ائمه، ٤٢٨ – ٤٢٩.

٣. م.ن.، ١: ٥٣.

٤. م.ن.، ٥٤.

٤. نشاط الإمام الهادي عليه السلام السياسي

لم يعد الإمام الهادي عليه السلام خلال فترة حياته انتفاضات الشيعة مثمرة، ولم يرَ فيها أي طائل[١]. لهذا السبب لم يشر أي تقرير عن نشاط سياسي علني له. ومع ذلك فقد اهتم المستشرقون خلال دراسة سيرة الإمام الهادي عليه السلام بنشاطه السياسي أيضًا. إذ قالت واردروب في تفسير سيرة الإمام الهادي عليه السلام بأنه تمتع بذكاء سياسي كبير، وطرحت مؤشرات لإثبات رأيها. بما في ذلك التحذير الذي أرسله إلى محمّد بن الفرج في مصر قبل وصول المتوكل إلى الحكم[٢].

ووفقًا لواردروب فالإمام الهادي كان سريعًا للغاية في استبدال النواب في مختلف المدن[٣].

وكتبت: اتصاله بالشيعة أفضى ليزعم الخليفة العثور على رسائل تحض على الانتفاضة لدى خدم الإمام[٤]. فأقام المعتصم بناءً على هذا الزعم محكمة. وثمة تقرير لدى واردروب يدور حول تفتيش منزل الإمام الهادي للعثور على مصحف فاطمة[٥]. وكتبت: «يُرجح أن الإمام كان حاضرًا في المدينة خلال السنوات ٢٢٠

---

١. جعفريان، حيات فكري وسياسي إمامان شيعه، ٦٢٨ .

2. Wardrop, *The Lives of the Imāms*, 110.

يقصد هذا التقرير: كليني، الكافي، ١: ٥٠٠. «قَالَ لِي مُحَمَّدُ بْنُ الْفَرَجِ إِنَّ أَبَا الْحَسَنِ كَتَبَ إِلَيْهِ يَا مُحَمَّدُ أَجْمِعْ أَمْرَكَ وَخُذْ حِذْرَكَ. قَالَ فَأَنَا فِي جَمْعِ أَمْرِي وَلَيس أَدْرِي مَا كَتَبَ إِلَيَّ حَتَّى وَرَدَ عَلَيَّ رَسُولٌ حَمَلَنِي مِنْ مِصْرَ مُقَيَّدًا وَضَرَبَ عَلَى كُلِّ مَا أَمْلِكُ، وَكُنْتُ فِي السِّجْنِ ثَمَاني سِنِينَ ثُمَّ وَرَدَ عَلَيَّ مِنْهُ فِي السِّجْنِ كِتَابٌ فِيهِ يَا مُحَمَّدُ لَا تَنْزِلْ فِي نَاحِيَةِ الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ فَقَرَأْتُ الْكِتَابَ فَقُلْتُ يَكْتُبُ إِلَيَّ بِهَذَا وأنا فِي السِّجْنِ إِنَّ هَذَا لَعَجَبٌ فَمَا مَكَثْتُ أَنْ خُلِّيَ عَنِّي وَالْحَمْدُ لِلَّه».

3. Wardrop, *The Lives of the Imāms*, 111.

4. Ibid, 99.

5. Ibid, 115.

إلى ٢٣٣ق، وخلال هذه السنوات ثمة تقارير عديدة تدور حول أحداث حياته»[١].

درست واردروب في قسم من رسالتها حياة الإمام في منطقة عسكر تحت مراقبة الخليفة، وكتبت: «الصورة التي تنقلها المراجع في تلك المرحلة، هي صورة الإمام وهو واقع تحت التعذيب ويواجه الإهانة والسخرية. خلال هذه المدة تضمنت الخطة السعي الحثيث للنيل من اسمه الكريم واستصغار منزلته وعلمه ونفي إمكانياته ووضعه في معرض الخطر عن طريق كيل التهم لأعدائه[٢]. وذكرت لإثبات هذه الصورة أمثلة من كتب الإرشاد والخرائج وأمثالهما وكتبت: «على الرغم من أنه من الممكن أن تكون قد بالغت هذه المراجع إلى حدٍّ ما، لكن أساس هذه الضغوطات كان موجودًا»[٣]. تعتقد واردروب أن انتقال الإمامة من إمام إلى الإمام التالي كان أشد مخاطرة من انتقال الخلافة إلى الجيل اللاحق، وتقريبًا بعد كل إمام كانت تظهر مرحلة غير مستقرة أو حتى انشقاق بين الشيعة، فبعد وفاة الإمام الرضا استغرق الأمر ثلاث أو أربع سنوات حتى تمكن الإمام الجواد أن يُعرف بوصفه إمامًا[٤].

في الحقيقة عاش الإمام الهادي عليه السلام في ظل ظروف صعبة، إذ لم تتوافر له الأجواء لممارسة أي نشاط سياسي علني، كان يعيش في مناخ حدثت فيه انعطافة في الرؤية السياسية الكلامية للخلفاء العباسيين. فحتى زمن المتوكل كان الرؤية السياسية والكلامية للمتكلمين تتبع نهج الخليفة العباسي المأمون، والذي كان يشوبه نزعة نحو الاعتزال، وكان يتعامل مع الشيعة بليونة أكبر. لكن منذ زمن

1. Ibid, 124.
2. Ibid, 126.
3. Ibid, 129.
4. Ibid, 198.

المتوكل تغير هذا النهج، ولقي أهل الحديث قبولًا إزاء المعتزلة، وأصبح المناخ المناهض للشيعة أكثر جدية. فالأشخاص الذين كان لديهم عداوة متعصبة مع الشيعة وصلوا إلى السلطة، وبلغ الأمر أن جرى تدمير مقام الإمام الحسين عليه السلام ومزاره في زمن المتوكل[١].

كتب ابن الأثير: «في هذه السنة أمر المتوكّل بهدم قبر الحسين بن عليّ عليهما السلام، وهدم ما حوله من المنازل والدور، وأن يبذر ويسقى موضع قبره، وأن يمنع الناس من إتيانه، فنادى [عامل صاحب الشُّرطة] بالناس في تلك الناحية: من وجدناه عند قبره، بعد ثلاثة، حسبناه في المطبق! فهرب الناس، وتركوا زيارته، وحُرث وزُرع... إن المتوكل كان يبغض من تقدمه من الخلفاء المأمون والمعتصم والواثق في محبة علي وأهل بيته»[٢].

ويشير تقرير لقاء علي بن مهزيار ومرافقيه المفعم بالخوف والحيطة، إلى التشدد ضد الإمام وتوخيه الحيطة في عقد مثل هذه اللقاءات[٣]. لبث علي بن جعفر بسبب اتصاله بالإمام سنوات عدة في السجن، وبعد إطلاق سراحه ارتحل إلى مكة بوصية من الإمام واستوطنها[٤].

أفضى هذا النهج ليخضع الشيعة على الأخص الإمام الهادي عليه السلام لأشد المراقبات الحكومية وفرض القيود. «إن بريحة العباسي صلى الصلاة بالحرمين وكتب إلى المتوكل إن كان لك في الحرمين حاجة فأخرج علي بن محمّد منهما، فإنه

١. الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ٤٧٨؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٩: ١٨٥.
٢. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٧: ٥٥.
٣. صفار، بصائر الدرجات في فضائل آل محمّد، ٣٣٧.
٤. الكشي، رجال الكشي، ٦٠٧.

قد دعا الناس إلى نفسه واتبعه خلق كثير وتابع إليه»[١].

وكتب سبط ابن الجوزي؛ ضجَّ الناس عند سماع ضج أهلها ضجيجًا عظيمًا ما سمع الناس بمثله خوفًا على علي[٢] وهذا يدل على امتلاك الإمام نفوذًا ومكانة رفيعة.

تأسيسًا على ذلك كان يتوخى الإمام الحيطة خلال هذه المرحلة، وتشير التقارير المنقولة إلى أن الإمام تفادى متبعًا مسوغات خاصة الإجابة عن بعض الأسئلة التي كان من الممكن أن تعود عليه بعواقب. كتب المسعودي؛ كان جواب الإمام الذي يحتمل الوجهين على سؤال المتوكل أحد تلك المسوغات. في أحد الأيام سأله المتوكل: «ما يقول ولد أبيك في العباس بن عبد المطلب؟ قال: وما يقول ولد أبي يا أمير المؤمنين في رجل افترض الله طاعة بنيه على خلقه وافترض طاعته على بنيه؟ فأمر له بمئة ألف درهم، وإنما أراد أبو الحسن طاعة الله على بنيه، فعرَّض»[٣].

وفي مثال آخر يقدِّم الإمام جوابًا ذكيًا عن سؤال يدور حول آيات القرآن الكريم التي لها عند بعض الشيعة تفسير خاص، «أَنَّ الْمُتَوَكِّلَ قِيلَ لَهُ إِنَّ أَبَا الْحَسَنِ يَعْنِي عَلِيَّ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الرِّضَا- يُفَسِّرُ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَ يَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلى يَدَيْهِ﴾(الفرقان: ٢٧). الْآيَتَيْنِ، فِي الْأَوَّلِ وَالثَّانِي. قَالَ: فَكَيْفَ الْوَجْهُ فِي أَمْرِهِ ؟. قَالُوا: تَجْمَعُ لَهُ النَّاسَ وَتَسْأَلُهُ بِحَضْرَتِهِمْ، فَإِنْ فَسَّرَهَا بِهَذَا كَفَاكَ الْحَاضِرُونَ أَمْرَهُ، وَإِنْ فَسَّرَهَا بِخِلَافِ ذَلِكَ افْتَضَحَ عِنْدَ أَصْحَابِهِ، قَالَ: فَوَجَّهَ إِلَى الْقُضَاةِ وَبَنِي هَاشِمٍ وَالْأَوْلِيَاءِ، وَسُئِلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: هَذَانِ رَجُلَانِ كَنَى اللَّهُ عَنْهُمَا وَمَنَّ بِالسَّتْرِ عَلَيْهِمَا، أَ فَيُحِبُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَكْشِفَ مَا سَتَرَهُ اللَّهُ؟. فَقَالَ: لَا أُحِبُّ»[٤].

---

١. ابن عبدالوهاب، عيون المعجزات، ١٣١.

٢. سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ٣٢٢.

٣. المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ٤: ١٠.

٤. المجلسي، بحار الأنوار، ٥٠: ٢١٤.

٥. إدعاء إعلان خلافة السيّد محمّد بن الهادي

تمثّلت إحدى المسائل التي طُرحت حول حياة الإمام الهادي عليه السلام في مبحث الإشارة إلى إمامة ابنه محمّد في زمن حياته. يعتقد إدموند هايز في مقال «من يمكنه أن يصبح إمامًا: جعفر الكذاب بين الواقعية السياسية والمثالية الباطنية»[1] أن الإمام الهادي قبل وفاة السيّد محمّد طرح إمامته من بعده. وكتب هايز:

«تعاظم ادعاء إمامة جعفر عندما توفي ابن الإمام الهادي الأكبر يعني محمّد. لأن الإمام الهادي كان له ثلاثة أولاد هم محمّد وحسن وجعفر. وكان الإمام الهادي عليه السلام قد طرح في الأغلب محمّد بوصفه خليفة له[2]. وأحال هذا التقرير إلى كتاب المقالات لعبدالله الأشعري القمي.

يمكن القول: ثمة تباين بين فهم هايز وما نقله القمي. إذ يقول هايز بشكل مطلق اختار الإمام الهادي محمّد بوصفه خليفة، بينما ما جاء في عبارة القمي هو نقل لرأي أصحاب السيّد محمّد. كتب الأشعري القمي: «فلمّا توفّي علي بن محمّد بن علي بن موسى قالت فرقة من أصحابه بإمامة ابنه محمّد، وقد كان توفّي في حياة أبيه بسرّ من رأى لم يمت واعتلّوا في ذلك بأن أباه أشار إليه وأعلمهم إنّه الإمام بعده»[3] من الواضح أن هذه العبارة هي نقل لمزاعم مناصري محمّد وليس كلام الإمام العاشر.

كتب هايز: بعض المصادر المناصرة لإمامة الحسن العسكري عليه السلام تدعي أن أبا جعفر محمّد جرى تعريفه على ما يبدو بوصفه الإمام، لكن في الحقيقة كان رأي الإمام الهادي يقع على إمامة الإمام الحسن. لكن بالنظر إلى المباحث المثارة

1. Hayes, *The Imam Who Might Have Been: Ja'far "the Liar" between Political Realism and Esoterist Idealism*..

2. Ibid, 82.

٣. الأشعري القمي، المقالات والفرق، ١٠١.

لاحقًا، على ما يبدو يتعين أن يكون قد جرى تعيين محمّد إمامًا، وكانت إمامته محط انتظار على نطاق واسع[١].

وفى التأييد والاستدلال حول وجود روايات تنصيب السيّد محمّد، يستدل هايز متسائلًا: ما الدليل حتى يعمد البعض في أعقاب وفاة شخص رحل، لإحداث بدعة ويقولون: إنه الإمام. وعليه يرجح وجود كلام صادر عن الإمام الهادي في هذا الصدد أفضى إلى طرح هذا الادعاء. تأسيسًا عليه، كلام النوبختي حول تفنيد ادعاء مثل هذه الوصية من قبل الإمام جاء لأنه يريد أن يعد هذا الرأي بدعة بعد وفاة الإمام الهادي[٢].

ليس واضحًا من أين استنبط هايز هذا التباين بين كلام الأشعري القمي والنوبختي، لأن عبارة النوبختي هي ذاتها تمامًا عبارة القمي. ويتمثّل التباين الوحيد في عبارة النوبختي في التصريح بكلمة (زعموا) لكن في عبارة القمي أضاف المحقق هذه الكلمة. لكن من دونها يبدو واضحًا أيضًا أن أنصار محمّد قالوا: إن الإمام الهادي نصّبه.

يطرح هايز استدلالًا آخر أضعف من الدليل السالف. فقد كتب يقول: إن محاولة الخصيبي لإثبات إمامة الإمام الحسن العسكري وطرح مبحثًا مستفيضًا حول ذلك، يرجع مرده إلى حتمية وجود حديث لإمامة محمّد، وأن هذا التنصيب حصل، ما جعل الخصيبي يدأب جهده الجهيد ويسهب في الحديث حول إمامة الإمام الحسن العسكري عليه السلام[٣].

هذا الاستدلال ليس قويًا بما فيه الكفاية، لأن الخصيبي بنفسه أولًا متهم

1. Hayes, *The Imam Who Might Have Been*, 82.

2. Ibid, 82: footnote no. 26.

3. Ibid.

بالغلو، وعدّوه الباحثون من أكابر النصيرية[١]. قسَّم الباحثون مؤلفاته إلى قسمين، وعلى الرغم من أن كتاب الهداية الكبرى يُعد من جملة كتبه الشيعية[٢]، ومع ذلك ليس للخصيبي مكانة معتبرة كثيرًا بين علماء الشيعة، لأن النجاشي وصفه بفاسد المذهب[٣]، والأفندي يأخذ على المجلسي عدم تشنيعه عليه بعبارات مناسبة. ونقل عبارة المجلسي حيث يقول: «لكن غمز عليه بعض أصحاب الرجال»[٤] وكتب: «وأقول: بل قد طعن عليه جل أصحاب الرجال بل كلهم على أشد ما يتصور حيث طعنوا بكذبه وفساد مذهبه ونحو ذلك»[٥].

يطرح الخصيبي في هذا الكتاب محمّد بن نصير النميري بوصفه بابًا للإمام الهادي عليه السلام[٦]. بينما لعن الإمام، محمّد بن نصير النميري وبعض الأدعياء الآخرين[٧]. وعليه يمكن أن يكون قد طُرح هذا الادعاء من مناصريه.

ومن جهة أخرى، كتب الخصيبي من أجل إثبات إمامة وأحوال كل إمام من الأئمة قرابة ٢٠- ٣٠ صفحة، ويمكن أن يكون الباب المرتبط بالإمام الحسن العسكري عليه السلام أكثر بقليل من ناحية الحجم، لكن لإثبات وجود نص للسيد محمّد، فإن الاستدلال بحجم كتاب الخصيبي لا يثبت شيئًا. وغالبًا وجود هذا القسم من كتاب الخصيبي بسبب نفي ادعاء وجود إشارة من طرف الإمام

---

١. رحمتي، «حسين بن حمدان خصيبي واهميت وى در تكوين نصيريه»، ١٧٦.

٢. رحمتي، «الخصيبي الحسين بن حمدان»، ٥٥١.

٣. النجاشي، رجال النجاشي، ٦٧.

٤. المجلسي، بحار الأنوار، ١: ٣٩.

٥. أفندي، رياض العلماء، ٢: ٥١.

٦. الخصيبي، الهداية الكبرى، ٣٢٣.

٧. الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ٥٢٠.

الهادي عليه السلام على إمامة محمّد، لا يمت بصلة لوجود حقيقي لمثل هذه الروايات.

منذ بداية التشيع كان ثمة ادعاء بإمامة أشخاص آخرين أيضًا بمن في ذلك محمّد بن حنيفة وزيد بن علي وإسماعيل بن جعفر وغيرهم، وهذا الأمر لا يمكن أن يشكّل مؤشرًا إلى وجود حقيقي لتنصيبه من الإمام.

كتب الخصيبي نقلًا عن شخصين من الشيعة أن الإمام الهادي كان يميل إلى السيّد محمّد؛ «إِنَّ أَبَا الْحَسَنِ عليه السلام كَانَ فِي حَيَاتِهِ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدٍ ابْنِه»[1]. لكن هذا الكلام كان عبارة عن استنباط وفهم ذينك الشخصين من تصرف الإمام الهادي حيال محمّد، ولا يقرر أي نص فضلًا عن ذلك.

أما تصور الناس أن الإمامة ستؤول من بعد الإمام الهادي عليه السلام إلى السيّد محمّد، يمكن أن يكون نابعًا من تمتعه من جهة بفضائل لا تُعد ولا تُحصى وكان موضع احترام الإمام الهادي عليه السلام أيضًا.

ومن جهة أخرى فقد كان في زمن حياته الابن الأكبر للإمام، ونُقلت أخبار بين الشيعة أن خليفة الإمام سيكون دائمًا ابن الإمام الأكبر. على سبيل المثال، ذكر الإمام الرضا عليه السلام إحدى علامات الإمام إلى جانب علامات أخرى، بأنه يكون الابن الأكبر[2].

ونُقل عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ الْأَمْرَ فِي الْكَبِيرِ مَا لَمْ تَكُنْ بِهِ عَاهَة»[3]. ونُقل في بعض المراجع أن زيد بن الحسن أيضًا طلب من الإمام الباقر عليه السلام على أساس الاستدلال «بالابن الأكبر» أن يقسِّم

---

١. الخصيبي، الهداية الكبرى، ٣٨٥ و٣٨٥.

٢. الكليني، الكافي، ١: ٢٨٤.

٣. م.ن.، ٣٥١.

ميراث الإمامة الخاص له، وفي نهاية المطاف اقتنع بتفسير الإمام[١].

ثمة رواية أخرى تتحدث عن الابن الأكبر نقل مثالها علي بن مهزيار، إذ يقول: قُلْتُ لِأَبِي الْحَسَنِ عليه السلام إِنْ كَانَ كَوْنٌ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ فَإِلَى مَنْ؟ قَالَ «عَهْدِي إِلَى الْأَكْبَرِ مِنْ وَلَدَيَّ»[٢]. ويقول الشيخ مفيد أيضًا: مرد ظن الناس بخلافة إسماعيل يرجع إلى أنه الابن الأكبر وكذلك للاحترام الكبير الذي كان الإمام يكنّه له[٣]. حتى إن أولوية الابن الأكبر للإمامة بين أهل السنة كانت مشهورة أيضًا على نحوٍ طلب فيه ابن حزم من زيد بن الحسن الذي كان الابن الأكبر، وفق رغبة عمر بن عبدالعزيز، أن يضع كتاب علي في متناوله؛ «وَإِنَّ ابْنَ حَزْمٍ بَعَثَ إِلَى زَيْدِ بْنِ الْحَسَنِ وَكَانَ أَكْبَرَهُمْ فَسَأَلَهُ الصَّدَقَةَ (يعني كتاب الصدقات)»[٤].

لكن هذه الروايات لا تشكّل دليلًا على وجود نص على إمامة السيّد محمّد، لأن السيّد محمّد توفي قبل الإمام الهادي عليه السلام. ولأن هذا الادعاء طُرح حول عبدالله الأفطح أيضًا، وعلى الرغم من أنه كان أكبر من الإمام موسى الكاظم عليه السلام لم ينصَّب إمامًا.

صحيح أن هذه الروايات والمناخ السائد كانا يشيران إلى أن استنباط الناس كان قائمًا على أن محمّدًا سيكون الإمام بعد الإمام الهادي، ومع ذلك لا تفضي أي من هذه الروايات إلى وجود نص حول محمّد. حتى الروايات التي بحسبها

١. الكليني، الكافي، ١: ٣٠٦. «عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: كَانَ زَيْدُ بْنُ الْحَسَنِ يُخَاصِمُ أَبِي فِي مِيرَاثِ رَسُولِ اللَّهِ ص وَيَقُولُ أَنَا مِنْ وُلْدِ الْحَسَنِ وَأَوْلَى بِذَلِكَ مِنْكَ لِأَنِّي مِنْ وَلَدِ الْأَكْبَرِ فَقَاسِمْنِي مِيرَاثَ رَسُولِ اللَّهِ».

٢. م.ن.، ١: ٣٢٦.

٣. المفيد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، ٢: ٢٠٩. «وَكَانَ قَوْمٌ مِنَ الشِّيعَةِ يَظُنُّونَ أَنَّهُ الْقَائِمُ بَعْدَ أَبِيهِ وَالْخَلِيفَةُ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ إِذْ كَانَ أَكْبَرَ إِخْوَتِهِ سِنًّا وَلِمَيْلِ أَبِيهِ إِلَيْهِ وَإِكْرَامِهِ لَه».

٤. الكليني، الكافي، ١: ٣٠٦.

بعد وفاة السيّد محمّد، أوصى الإمام الهادي ابنه حسن بشكر الله تعالى لا تشير إلى وجود تصريح على إمامة السيّد محمّد. روى المرحوم الكليني «عَنْ عَلِيِّ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ: كُنْتُ حَاضِرًا أَبَا الْحَسَنِ عليه السلام لَمَّا تُوُفِّيَ ابْنُهُ مُحَمَّدٌ فَقَالَ لِلْحَسَنِ: يَا بُنَيَّ أَحْدِثْ لِلَّهِ شُكْرًا فَقَدْ أَحْدَثَ فِيكَ أَمْرًا»[1].

لا يمكن عدُّ هذه الرواية تصريحًا على وجوب انتصاب السيّد محمّد قبل وفاته، لأنه بمعزل عن سند الرواية، يقول العلامة المجلسي بناءً على الرأي المشهور، السند ضعيف[2]، وهذا يمكن أن يشكّل إشارةٍ إلى أنه مع وفاة السيّد محمّد تعزز احتمال إمامتكَ وأنتَ على أعتاب الإمامة.

تأسيسًا على ذلك، لم يكن ثمة تصريح بل كان ظن الناس وحدسهم مبنيًا حول أن السيّد محمّد سيكون الإمام، وهذه النقطة يمكن استنباطها من تقرير أحد أصحاب الإمام الحسن العسكري عليه السلام؛ «قَالَ عَمْرٍو الْعَطَّارِ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي الْحَسَنِ الْعَسْكَرِيِّ عليه السلام وَأَبُو جَعْفَرٍ ابْنُهُ فِي الْأَحْيَاءِ وَأَنَا أَظُنُّ أَنَّهُ هُوَ فَقُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ مَنْ أَخُصُّ مِنْ وُلْدِكَ؟ فَقَالَ: لَا تَخُصُّوا أَحَدًا حَتَّى يَخْرُجَ إِلَيْكُمْ أَمْرِي، قَالَ: فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ بَعْدُ فِيمَنْ يَكُونُ هَذَا الْأَمْرُ، قَالَ: فَكَتَبَ إِلَيَّ فِي الْكَبِيرِ مِنْ وَلَدَيَّ، قَالَ: وَكَانَ أَبُو مُحَمَّدٍ أَكْبَرَ مِنْ أَبِي جَعْفَرٍ»[3]. هذه الرواية تشير إلى أن استنباط عمرو مثل بعض الشيعة الآخرين كان يقوم على أن السيّد محمّد سيكون الإمام، بينما نهاه الإمام عن هذا الظن.

ربما أهم رواية يمكن الاستفادة منها للإشارة إلى إمامة السيّد محمّد قبل وفاته،

---

١. م.ن.، ٣٢٦.

٢. المجلسي، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، ٣: ٣٨٨.

٣. الكليني، الكافي، ١: ٣٢٦.

هي رواية تشير إلى مسألة البداء، «عَنْ أَبِي هَاشِمٍ الْجَعْفَرِيِّ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي الْحَسَنِ عليه السلام بَعْدَمَا مَضَى ابْنُهُ أَبُو جَعْفَرٍ، وَإِنِّي لَأُفَكِّرُ فِي نَفْسِي أُرِيدُ أَنْ أَقُولَ كَأَنَّهُمَا أَعْنِي أَبَا جَعْفَرٍ وَأَبَا مُحَمَّدٍ فِي هَذَا الْوَقْتِ- كَأَبِي الْحَسَنِ مُوسَى وَإِسْمَاعِيلَ ابْنَيْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عليه السلام وَإِنَّ قِصَّتَهُمَا كَقِصَّتِهِمَا، إِذْ كَانَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْمُرْجَى بَعْدَ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، فَأَقْبَلَ عَلَيَّ أَبُو الْحَسَنِ قَبْلَ أَنْ أَنْطِقَ فَقَالَ: نَعَمْ يَا أَبَا هَاشِمٍ بَدَا لِلَّهِ فِي أَبِي مُحَمَّدٍ بَعْدَ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام مَا لَمْ يَكُنْ يُعْرَفُ لَهُ كَمَا بَدَا لَهُ فِي مُوسَى بَعْدَ مُضِيِّ إِسْمَاعِيلَ مَا كَشَفَ بِهِ عَنْ حَالِهِ، وَهُوَ كَمَا حَدَّثَتْكَ نَفْسُكَ وَإِنْ كَرِهَ الْمُبْطِلُونَ وَأَبُو مُحَمَّدٍ ابْنِي الْخَلَفُ مِنْ بَعْدِي، عِنْدَهُ عِلْمُ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ وَمَعَهُ آلَةُ الْإِمَامَةِ»[١]. ونقل الشيخ الطوسي هذه الرواية باختلاف طفيف، وجرى فيها الحديث عن إشارة الإمام لإمامته، وجاء في نقل الطوسي؛ «يَا أَبَا هَاشِمٍ بَدَا لِلَّهِ فِي أَبِي جَعْفَرٍ وَصَيَّرَ مَكَانَهُ أَبَا مُحَمَّدٍ كَمَا بَدَا لَهُ فِي إِسْمَاعِيلَ بَعْدَمَا دَلَّ عَلَيْهِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام وَنَصَبَهُ وَهُوَ كَمَا حَدَّثَتْكَ نَفْسُكَ»[٢].

وحول هذه الرواية وكذلك الرواية التي جاءت حول البداء حول إسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام، ينبغي القول أولًا: هذا النوع من الروايات ينافي الروايات التي جرى التصريح فيها على إمامة اثني عشر إمامًا، إضافة إلى أسمائهم[٣]، على الرغم من عدم اشتهارها، لكنها كانت تنتقل على شكل سرّ من إمام إلى آخر. ثانيًا: رفض بعض المتكلمين هذه الروايات وعدّوها مجرد ادعاء، وأجمعوا على أنه لا سبيل للبداء في مسألة الإمامة؛ كتب الشيخ مفيد حول هذا النوع من الروايات؛ الرواية التي تدل على البداء حول إمامة إسماعيل بن جعفر عليه السلام،

١. م.ن.، ٣٢٧.

٢. الطوسي، الغيبة، النص، ٨٣.

٣. الخزاز القمي، كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر، ٦٨ و٧٣.

يمكن تفسيرها من خلال رواية أخرى عن الإمام الصادق عليه السلام، «عن أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَتَبَ الْقَتْلَ عَلَى ابْنِي إِسْمَاعِيلَ مَرَّتَيْنِ فَسَأَلْتُهُ فِيهِ فَعَفَا عَنْ ذَلِكَ»[1]. أي بسؤال الإمام الصادق عليه السلام بدل القتل المقدر توفي بالموت العادي وتغيّرت طريقة وفاته.

ومن جهة أخرى يرى الشيخ مفيد أنه ليس للبداء سبيل في الإمامة، ويكتب: وأما الإمامة فإنه لا يُوصف الله فيه بالبداء، وعلى ذلك إجماع فقهاء الإمامية ومعهم فيه أثر «عَنْهُمْ عليهم السلام أَنَّهُمْ قَالُوا: مَهْمَا بَدَا لِلَّهِ فِي شَيْءٍ فَلَا يَبْدُو لَهُ فِي نَقْلِ نَبِيٍّ عَنْ نُبُوَّتِهِ وَلَا إِمَامٍ عَنْ إِمَامَتِهِ وَلَا مُؤْمِنٍ قَدْ أَخَذَ عَهْدَهُ بِالْإِيمَانِ عَنْ إِيمَانِهِ». وإذا كان الأمر على ما ذكرناه فقد بطل أيضًا هذا الفصل الذي اعتمدوه وجعلوه دلالة على نص أبي عبد الله عليه السلام على إسماعيل[2].

يقول الشيخ الطوسي حول هذه الروايات: وأما ما تضمنه الخبر من قوله: بدا لله فيه معناه بدا من الله فيه، وهكذا القول في جميع ما يروي من أنه بدا لله في إسماعيل معناه أنه بدا من الله، فإن الناس كانوا يظنون في إسماعيل بن جعفر أنه الإمام بعد أبيه، فلما مات علموا بطلان ذلك وتحققوا إمامة موسى عليه السلام، وهكذا كانوا يظنون إمامة محمّد بن علي بعد أبيه فلما مات في حياة أبيه علموا بطلان ما ظنوه[3].

بمعزل عن ذلك، نقل الشيخ الكليني روايات عن وصية ونص الإمام الهادي عليه السلام على إمامة الإمام الحسن العسكري[4]. يتضمن بعضها تصريحًا

١. المفيد، الفصول المختارة، ٣٠٩.

٢. م.ن.

٣. الطوسي، الغيبة، ٨٣.

٤. الكليني، الكافي، ١: ٣٢٥- ٣٢٨.

وبعضها الآخر إشارات على إمامة الإمام الحسن. وفي إحدى هذه الروايات جرى نفي إمامة السيّد محمّد بصراحة؛ علي بن عمر النوفلي يقول: «كُنْتُ مَعَ أَبِي الْحَسَنِ عليه السلام فِي صَحْنِ دَارِهِ، فَمَرَّ بِنَا مُحَمَّدٌ ابْنُهُ فَقُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ هَذَا صَاحِبُنَا بَعْدَكَ؟ فَقَالَ: لَا صَاحِبُكُمْ بَعْدِيَ الْحَسَنُ»[١].

ونقل خزاز في كفاية الأثر عن صقر بن أبي دلف: «الصَّقْرُ بْنُ أَبِي دُلَفَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَا عليه السلام يَقُولُ: الْإِمَامُ بَعْدِي ابْنِي عَلِيٌّ أَمْرُهُ أَمْرِي وَقَوْلُهُ قَوْلِي وَطَاعَتُهُ طَاعَتِي، وَالْإِمَامُ بَعْدَهُ ابْنُهُ الْحَسَنُ أَمْرُهُ أَمْرُ أَبِيهِ وَقَوْلُهُ قَوْلُ أَبِيه»[٢]. كما نقل عن داود بن قاسم: «عَنْ أَبِي هَاشِمٍ دَاوُدَ بْنِ الْقَاسِمِ الْجَعْفَرِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ صَاحِبَ الْعَسْكَرِ عليه السلام يَقُولُ: الْخَلَفُ مِنْ بَعْدِيَ ابْنِيَ الْحَسَن»[٣].

ومع أخذ التعقيدات السياسية في تلك المرحلة وكذلك الصعوبات التي كانت يواجهها الإمام، ربما ترك مسألة الخليفة غامضة إلى أقصى حدٍّ ممكن كان أحد أساليب الإمام في الحفاظ على حياة الخليفة الحقيقي.

٦. شهادة الإمام الهادي عليه السلام

ثمة رأيان لدى المستشرقين حول شهادة الإمام الهادي عليه السلام، فبعضهم من خلال الإشارة إلى تقرير المؤرخين الإسلاميين لشهادته، أو على الأقل، قبلوا وفاته المشكوك في أمرها؛ يصدِّق القس إدوارد سل على شهادة الإمام وتسميمه[٤].

---

١. م.ن.، ٣٢٦.

٢. الخزاز القمي، كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر، ٢٨٣.

٣. م.ن.، ٢٨٩.

4. Sell, *Ithna Ashariyya or The Twelve Shi`ah Imams*, 47.

وينقل دونالسون عن اليعقوبي بأنه توفي بشكل مثير للشبهات. لكنه لا يورد شيئًا يشير إلى قبوله هذا الأمر أو إنكاره[١].

تحدَّث بعض المستشرقين الآخرين عن شهادته بنظرة مترددة وعدّوا الأمر كلام الشيعة؛ تقول برنهايمر في الإصدار الثالث لدائرة المعارف الإسلامية: إنه توفي في سنة ٣٥٤ قمرية، لكن الشيعة يعتقدون أنه جرى تسميمه من الحكام العباسيين[٢].

كتب برنارد لويس في الإصدار الثاني لدائرة المعارف الإسلامية: وفق بعض الروايات سمته أم الفضل زوجته، ولم يكن لها منه ولد[٣]. وكتب أيضًا: على الرغم من فرض مراقبة عليه لكن لم يتعرض للأذى. طبعًا وفق الروايات الشيعية جرى تسميمه بأمر من الخليفة[٤]. يعد مادلونغ أن رأي استشهاد الإمام عن طريق تسميمه هو كلام منسوب للشيعة، ولا يأخذ أي موقف حياله؛ لكن كلامه المفعم بالشك، يبادر إلى الذهن رفضه هذه الرأي[٥].

في وقتٍ ثمة قرائن ونقولٌ متعددة تدل على شهادته؛ تشير بعض المراجع إلى نية المتوكل لقتل الإمام[٦]؛ وتصرِّح بعض المراجع مثل محمّد بن جرير الطبري في دلائل الإمامة[٧]، وفضل بن حسن الطبرسي في أعلام الورى[٨] بشهادته؛

1. Donaldson, *The Shi'ite Religion*, 216.

2. Bernheimer, "ʿAlī l-Hādī".

3. Lewis, "Al-ʿAskari," 713.

4. Ibid.

5. http://www.iranicaonline.org/articles/search/author:Madelung/

٦. الأربلي، كشف الغمة في معرفة الائمة، ٢: ٣٩٤.

٧. الطبري، دلائل الإمامة، ٤٠٩.

٨. الطبرسي، إعلام الورى بأعلام الهدى، ٢: ١١٠.

كتب الشيخ الصدوق: «قَتَلَهُ الْمُعْتَضِدُ بِالسَّمِّ»[١]، والبعض الآخر من العلماء مثل العلاّمة المجلسي عدَّ رواية الإمام الصادق عليه السلام: «وَاللَّهِ مَا مِنَّا إِلَّا مَقْتُولٌ شَهِيدٌ» دليل على شهادة كل الأئمة بمن فيهم الإمام الهادي عليه السلام، وكتب يقول: أكثر أصحاب وعلماء الشيعة يقولون باستشهاده[٢].

٧. الإحالة إلى الأحاديث والتقارير من دون دراسة السند والاعتبار

تتمثل إحدى النواقص التي تعتري بعض مؤلفات المستشرقين في نقص مراجعهم في نسبة رؤيةٍ ما إلى الشيعة أو أحد الأحداث إلى الأئمة. ومن جملة هذه النواقص نقل الموضوعات من دون ذكر المصدر، على سبيل المثال تناول القس إدوار سل في كتاب الاثني عشرية في حدود ٧ صفحات الإمام الهادي عليه السلام وسيرته، لكنه لا يذكر مرجعًا لموضوعاته[٣]. ينقل دونالسون في كتاب مذهب الشيعة قصة حول الإمام الهادي عليه السلام أنه كان راكبًا على حصان جرى تزيين سرجه بالذهب[٤]. لكن البحث حول مرجع لهذا التقرير لم يُفضِ إلى نتيجة، لأن مترجم هذا الكتاب إلى الفارسية كتب: لقد بحثت حول أصل هذه الحكاية في كتب متعددة، ولم يسفر بحثنا في المراجع عن شيء، لأن هذا الأمر لا يتساوق مع سيرة أئمة الشيعة وحياتهم البسيطة.

وفي مدخل الإمام الهادي في الإصدار الأول في دائرة المعارف الإسلامية حمل

---

١. الصدوق، اعتقادات الإمامية، ٤٨.

٢. المجلسي، بحار الأنوار، ٥٠: ٢٣٨.

3. Sell, *Ithna Ashariyya or The Twelve Shi`ah Imams*, 41-47.

4. Donaldson, *The Shi'ite Religion*, 214.

يُنظر: دونالسون، مذهب الشيعة، ٢: ٥١.

عنوان «العسكري» يساور الشك بروكلمان حول استشهاده أو وفاته الطبيعية. وفي هذا المدخل القصير نفسه يشير في الجمل الأخيرة إلى أولاد الإمام الهادي، وكتب حول الإمام الحسن العسكري عليه السلام أن لديه ابنًا، وكونه الإمام الثاني عشر للشيعة من عدمه فهذا الأمر محط شك. ويُحيل[1] إلى مقال إسرائيل فريدلاندر[2] الذي يدور حول شبهات ابن حزم ضد الشيعة[3]. هذه النقطة يمكن عدُّها مؤشرًا إلى إثبات تحيز بروكلمان، لأن ابن حزم يعد عالمًا مناهضًا للشيعة، وهاجم على الدوام في مؤلفاته التشيع، وليس واضحًا بأي نية أقدم فريدلاندر اليهودي على نشر تقرير مفصَّل باللغة الإنكليزية حول مقاله، فالإحالة إلى هذا المقال في مقال قصير إضافةً إلى أنه كان بإمكانه الإحالة إلى عشرات المراجع العربية والإسلامية محط تبصر وتأمل. كما نقل المستشرقون في الكثير من مؤلفاتهم موضوعًا من سيرة الإمام من كتب حديث الشيعة، من دون أن يذكروا رأي علماء الشيعة حول صحة تلك الرواية.

نعرف أن مجموعات مختلفة من الشيعة بمن فيهم المفوضِّة والغلاة وحتى معارضي الشيعة نقلوا روايات عن الأئمة أو حولهم، ورُويت هذه التقارير في كتب مختلفة، بينما لا تحظى بمصادقة علماء الشيعة وتأييدهم، وينقل بعض المستشرقين من دون إجراء تقييم سندي أو دلالي تقاريرهم هذه بوصفها رأي الشيعة حول ذلك الإمام.

---

1. Brockelmann, "Al-ʿAskari", 1: 489.

2. Israel Friedlaender.

3. *The Heterodoxies of the Shiites in the Presentation of lbn Hazm*.

النتيجة:

لم يحفل الإمام الهادي عليه السلام بسبب وجوده تحت المراقبة، وكذلك عدم انخراطه في الأحداث التاريخية المهمة، باهتمام كبير من المستشرقين. طبعًا في المراجع الإسلامية قياسًا ببعض الأئمة الآخرين ثمة معلومات وتفاصيل يسيرة حول حياته في المتناول. ومع ذلك تناول بعض الباحثين الغربيين في الدراسات الإسلامية حياته بالدراسة في مؤلفاتهم، ومن جملة ذلك مقالات دائرة المعارف الإسلامية وايرانيكا، وكذلك العديد من المقالات المنشورة في الكتب والمجلات الغربية التي تضمنت إشارات إلى مراحل من حياته. فشخصية الإمام الهادي ومزاعم اختياره ابنه السيّد محمّد خلفية له قبل وفاته، وكذلك أنشطته السياسية والاجتماعية من جملة الحالات التي جرى إلى حدٍّ ما دراستها وبحثها. صِغرُ سنه خلال مرحلة الإمامة لم تكن محط جدال كبير، لأن هذا الأمر كان قد حدث مع الإمام الجواد عليه السلام قبل الإمام الهادي عليه السلام، وسيرًا على خطوات العلماء المسلمين، لم يدخل المستشرقون أيضًا في نقاشات مثيرة للجدل حول هذا الأمر.

بُذلت مساعٍ في هذا المقال لتناول بعض المسائل المطروحة من المستشرقين حول الإمام الهادي عليه السلام بما فيها ادعاء تنصيب السيّد محمّد خليفة للإمام، ونشاطات الإمام السياسية خلال وجوده، وتهيئة الناس لعصر الغيبة وكذلك الاتصال بالشيعة وإرشادهم. لكن ما يُشاهد في أغلبية مؤلفات الغربيين حول الإمام الهادي يتمثّل في إغفال الاهتمام بتعاليم الإمام وتعليماته، سواء في شكل مكتوباته، أو في شكل الروايات والأحاديث المروية عنه.

المصادر

١. ابن الأثير، علي بن محمّد، الكامل في التاريخ، بيروت، دار صادر، ١٣٨٥هـ.

٢. ابن حمزه، محمّد بن علي، الثاقب في المناقب، قم، أنصاريان، ١٤١٩هـ.

٣. ابن شهرآشوب المازندراني، محمّد بن علي، مناقب آل أبي طالب، قم، انتشارات العلامة، ١٣٧٩ش.

٤. ابن عبد الوهاب، حسين بن عبد الوهاب، عيون المعجزات، قم، مكتبة الداوري.

٥. أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين، مقاتل الطالبيين، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤١٩هـ.

٦. احمدي ميانجي، علي، مكاتيب الأئمة عليهم السلام، قم، دار الحديث، ١٣٨٩ش.

٧. الأشعري القمي، سعد بن عبدالله، المقالات والفرق، طهران، انتشارات علمي فرهنگي، ١٣٦٠ ش.

٨. أفندي، عبدالله بن عيسى، رياض العلماء وحياض الفضلاء، بيروت، مؤسسة التاريخ العربي، ١٤٣١هـ.

٩. جباري، محمّدرضا، سازمان وكالت ونقش آن در عصر ائمه، قم، انتشارات مؤسسه إمام خميني رحمه الله، ١٣٨٢ ش.

١٠. جعفريان، رسول، حيات فكري وسياسي امامان شيعه، طهران، انتشارات علم، ١٣٩٠ش.

١١. جماعة من مؤلفين، «امامت پژوهان انگليسي زبان وآثار آنها»، مجله امامت پژوهي، العدد ١، ربيع ١٣٩٠ش.

١٢. جهضمي، نصر بن علي، تاريخ أهل البيت، بيروت، مؤسسة آل البيت، ١٤١١هـ.

١٣. الحر العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة، قم، مؤسسة آل البيت، ١٤٠٩هـ.

١٤. حسين، جاسم، تاريخ سياسي غيبت امام دوازدهم، الترجمة: سيد محمّدتقي آيت‌اللهي، طهران، انتشارات اميركبير، ١٣٩٣ش.

١٥. الخزاز القمي، علي بن محمّد، كفاية الأثر في النص على الأئمة الإثني عشر، قم، انتشارات بيدار، ١٤٠١هـ.

١٦. الخصيبي، حسين بن حمدان، الهداية الكبرى، بيروت، البلاغ، ١٤١١هـ.
١٧. الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، تاريخ بغداد، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ.
١٨. دونالدسون، دوايت، مذهب شيعه: تاريخ إسلام در إيران وعراق (دو جلد)، الترجمة: عباس احمدوند ومحمّد قزويني نظم‌آبادي، قم، انتشارات پژوهشگاه علوم وفرهنگ اسلامي، ١٣٩٥ش.
١٩. رحمتي، محمّد كاظم، «حسين بن حمدان خصيبي واهميت وى در تكوين نصيريه»، هفت آسمان، سنة٨، العدد٣٠، صيف ١٣٨٥ش.
٢٠. ـــــــــــ، «خصيبي حسين بن حمدان»، دانشنامه جهان اسلام، مجلد ١٥، طهران، بنياد دائرةالمعارف إسلامي، ١٤٠١ش.
٢١. سبط ابن الجوزي، يوسف بن قزاوغلي، تذكرة الخواص، قم، الشريف الرضي، ١٣٧٦ش.
٢٢. السمعاني، عبد الكريم بن محمّد، الأنساب، حيدر آباد الهند، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٨٢هـ.
٢٣. الشامي، يوسف بن حاتم، الدر النظيم في مناقب الأئمة الهاميم، قم، جامعة المدرسين، ١٤٢٠هـ.
٢٤. الشريفي، محمود وآخرون، موسوعة كلمات الإمام الهادي، طهران، سازمان تبليغات ومعهد باقر العلوم، ١٣٩٣ ش.
٢٥. الصدوق، محمّد بن علي (ابن بابويه)، اعتقادات الإمامية، قم، مؤتمر الشيخ المفيد، ١٤١٤هـ.
٢٦. ـــــــــــ، الأمالي، طهران، انتشارات كتابچي، ١٣٧١ش.
٢٧. صفار، محمّد بن الحسن، بصائر الدرجات في فضائل آل محمّد، قم، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، ١٤٠٤هـ.
٢٨. الطبرسي، فضل بن الحسن، إعلام الورى بأعلام الهدى، قم، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ١٤١٧هـ.
٢٩. الطبري، محمّد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، بيروت.
٣٠. ـــــــــــ، دلائل الإمامة، قم، بعثت، ١٤١٣هـ.

٣١. الطوسي، محمّد بن الحسن، اختيار معرفة الرجال، قم، مؤسسة آل البيت، ١٤٠٤هـ.
٣٢. ـــــــــــ، الغيبة، قم، مؤسسة المعارف الإسلامية، ١٤١١هـ.
٣٣. العطاري، عزيز الله، مسند الإمام الهادي، قم، المؤتمر العالمي للإمام الرضا، ١٤١٠هـ.
٣٤. الفخر الرازي، محمّد بن عمر، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ.
٣٥. الكشي، محمّد بن عمر، رجال الكشي، مشهد، جامعة مشهد، ١٤٠٩هـ.
٣٦. الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي، تحقيق علي أكبر غفاري، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٦٣ش.
٣٧. المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، تحقيق محمّد باقر البهبودي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٣هـ.
٣٨. ـــــــــــ، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، تحقيق سيد هاشم رسولي محلاتي، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٤٠١هـ.
٣٩. المسعودي، علي بن الحسين، إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب، قم، أنصاريان، ١٣٨٤هـ.
٤٠. ـــــــــــ، مروج الذهب ومعادن الجوهر، قم، مؤسسة دار الهجرة، ١٤٠٣هـ.
٤١. المفيد، محمّد بن النعمان، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، قم، مؤسسة آل البيت، ١٤١٣هـ.
٤٢. ـــــــــــ، الفصول المختارة من العيون والمجالس، قم، المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، ١٤١٣هـ.
٤٣. النجاشي، أحمد بن علي، رجال النجاشي، قم، مؤسسة نشر الإسلامية، ١٣٦٥ش.
٤٤. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبي، بيروت، دار صادر.

45. Bennison, Amira. K. *The Great Caliphs: The Golden Age of the ‹Abbasid Empire*. New Haven. Yale University Press, 2009.
46. Bernheimer, Teresa. "ʿAlī l-Hādī". in: *Encyclopaedia of Islam*. Three Edited by: Kate Fleet. Gudrun Krämer. Denis Matringe. John Nawas. Everett Rowson. Devin Stewart. Liden. Brill, 2017.
47. Brockelmann, Carl. "AL-ʿASKARI". in *The Encyclopaedia of Islam*.vol1, edited by M. Th. Houtsma. T. W. Arnold. R. Basset and R. Hartmann. Leyden. Brill, 1913.
48. Donaldson, Dwight M. *The Shi'ite Religion: A History of Islam in Persia & Iraq*, London. Luzac & Company, 1933.
49. Friedlaender, Israel. *Heterodoxies of the Shiites according to Ibn Hazm*. Forgotten Books (republished, 2018) 1909.
50. Hayes, Edmund. "The Imam Who Might Have Been: Jaʿfar "the Liar" between Political Realism and Esoterist Idealism." in *Reason. Esotericism. and Authority in Shiʿi Islam*. edited by Rodrigo Adem and Edmund Hayes. Leiden. Brill, 2021: 73-106.
51. ———. "The Imam Who Might Have Been: Jaʿfar "the Liar" between Political Realism and Esoterist Idealism." in *Reason, Esotericism, and Authority in Shiʿi Islam*. (Rodrigo Adem and Edmund Hayes eds). Leiden. Brill, 2021.
52. Kohlberg, Etan. "Imam and community in the pre-ghayba period." in Said Amir Arjomand (ed.). *Authority and political culture in Shiʿism*. New York, Albany, 1988.
53. Lewis, Bernard. "Al-ʿAskari." in: *Encyclopaedia of Islam* 2th. vol. 1. GIBB. H. A. R. et al. (ed), Leiden. Brill, 1986-2004.
54. Madelung, Wilferd. "ALĪ AL-HĀDĪ," in *Encyclopædia Iranica*. edited by Ehsan Yarshater. Boston and Henley, London. Routledge & Kegan Paul, 1985.
55. Melchert, Christopher. "Religious Policies of The Caliphs from Al-Mutawakkil to Al-Muqtadir. A H 232-295/A D 847-908". *Islamic Law and Society*. Vol. 3. No. 3 (1996): 316-342.

56. Modarressi, Hossein. *Crisis and Consolidation in The Formative Period of Shi'ite Islam*. Princeton. New Jersey. The Darwin Press. Inc. 1993.

57. Momen, Moojan. *An Introduction to Shi`i Islam: Th e History and Doctrines of Twelver Shi`ism*. New Haven. CT: Yale University Press, 1985.

58. Pierce, Matthew. *Twelve Infallible Men. the Imams and the Making of Shiʿism*. Harvard University Press, 2016.

59. Sell, Rev. Canon Edward. *Ithna 'Ashariyya or The Twelve Shi'ah Imams*. Colombo. Christian Literature Society for India, 1923.

60. Sindawi, Khalid. "The Role of the Lion in Miracles Associated with Shīʿite Imāms." *Der Islam* 84.2 (2007): 356 90.

61. Wardrop, Shona. "The Lives of the Imāms. Muḥammad al- Jawād and ʿAlī al-Hādī and the Development of the Shīʿite Organization." *PhD diss*. University of Edinburgh, 1988.

62. Watt, Montgomery. *The Reappraisal of Abbasid Shi'ism*. George Makdisi (ed) Arabic and Islamic Srudies in Honor of "Hamilion. A.R. Gibb, l965.